المحور الأول : ماهية الحضارة

المحاضرة رقم 01 : مفهوم الحضارة

يعتبر مفهوم الحضارة من المفاهيم ذات الدلالات المتعددة التي يصعب تحديدها وذلك راجع لسببين أساسيين هما :

*تضارب التعاريف الناجم عن تنوع الاختصصات التي تدرس المصطلح (علم الاجتماع ، التاريخ ، الانثربولوجيا ، السياسة ...) ، وكذلك تعقد الظاهرة الإنسانية .

* تنوع التقاليد الثقافية و اللغوية التي تعتبر المكون الأساسي للحضارة و تضاربها أحيانا ما يضفي طابع التعقيد و التراكبية في دراسة عناصرها و مكوناتها ، وهو ما يستدعي استخدام المقاربة العابرة للثقافات cross cultural approach التي تمكننا من جمع البيانات حول المجتمعات و الثقافات المتعددة بهدف اكتشاف السمات المشتركة بينها لضبط هذا المفهوم.

أولا : نشاة مصطلح الحضارة

يعتبر ابن خلدون من أوائل من أشار الى مصطلح الحضارة عند حديثه عن العمران البدوي و العمران الحضري في كتابه **المقدمة** .

اما في الفكر الغربي فقد ظهرت كلمة civilization في القرن الثامن عشر حينما كتب دي ميرابو comte de mirabeau كتابه " مقال في الحضارة " سنة 1757 ، ثم ظهرت في قاموس الاكاديمية الفرنسية سنة 1835 ، و عرفت رواجها على يد كل من الفيلسوف الالماني اوزفالد اشبنغلر Oswald spengler(1880- 1976) ، و البريطاني ارنولد توينبي Arnold toynbee (1889-1975).

واستخدم الالمان لفظ kultur كبديل عن لفظ civilization وهي في حقيقتها تأخذ معنى اخر غير معنى الحضارة ذلك انها تشير الى مصطلح الثقافة.

وقد روج رواد الحداثة الغربيون لهذا المفهوم طيلة القرنين 18 و 19 بصيغته المفردة للدلالة على ان الحضارة حكر على أوروبا فقط ، وبعد تطورالدراسات الانثربولوجية عبر العالم ادرك مفكرو الغرب التحيز الذي وقعوا فيه فاستعملو لفظ حضارات بدل حضارة .

ثانيا : تعريف الحضارة :

أ/ لغة : كلمة الحضارة في اللغة العربية تلفظ بفتح الحاء او كسرها وهي مشتقة من كلمة حضر والتي اشتقت منها كلمة الحضر والحاضرة و الحضرة و الحضارة والتي تعني الإقامة في المدن عكس البادية.

اما في الغة اللاتينية فترجع أصولها الى لفظة civitas بمعنى مدينة يتمتع فيها السكان بحقوق المواطنة ، و civilties بمعنى مدنية ، و civis بمعنى ساكن المدينة ، أو civilis بمعنى مدني ، وكلها تقرن بين الحضارة و العيش في المدن وبذلك نجد انه لا اختلاف في تعريف المصطلح بين اللغتين العربية و اللاتينية.

ب/ اصطلاحا :

يعرفها قاموس أكسفورد على انها " حالة متقدمة و متطورة من المجتمع البشري تشير الى إضفاء الطابع الإنساني و الخروج من الحالة البربرية ".

وقد ارتبط المفهوم الاصطلاحي للحضارة بالتمدن و العقلانية حيث اعتبر التحضر مرادفا للعقل و انتاجه العلمي و المعرفي، الحسي والمادي ، وبذلك فهي تمثل العلم المبني على الاكتشافات و الاختراعات التي تساعد الانسان على ان يحي حياة افضل.

ويمكن اجمال اهم التعاريف التي قدمت لهذا المفهوم في :

***تعريف ابن خلدون "** الحضارة هي التفنن في الترف و استجادة احواله و إحكام الصنائع المستعملة في وجوهه .....فهي تنشأ عندما يتحقق للبشر حالة من الرفاه تعبر عن فائض او زيادة عن ما هو ضروري لحياتهم ....."

***تعريف ديورانت :** هي نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي وهي تتالف من أربعة عناصر تتمثل في : الموارد الاقتصادية ، النظم السياسية ، التقاليد الخلقية ، متابعة العلوم و الفنون ....وهي تبدا حين ينتهي القلق ..." للدلالة على أهمية الامن الفردي والجمعي و الكفاية و الطمانينة للوصول الى مرحلة الحضارة .

***تعريف السير ادوارد بيرنت تايلور** : ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف و العقيدة و الفن وقيم الاخلاق و القانون و التقاليد وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع "

***تعريف صامويل هنتنغتون**:" الحضارة هي الشكل الأعلى للتجمع والمستوى الاسمى للهوية الثقافية الذي يحتاج اليه البشر للتمايز عن باقي الأنواع .....، ان الحضارة و الثقافة كلاهما يشير الى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما " وبذلك نلاحظ ان هنتنغتون لا يميز بين الحضارة والثقافة

***تعريف عماد خليل** : " هي التقدم الروحي والمادي للافراد و الجماهير على السواء وتشمل مجموعة المظاهر السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية لامة من الأمم يتناقلها أبناؤها جيلا بعد جيل غايتها القصوى هي الوصول الى الكمال الروحي و الأخلاقي"

***أما مالك ابن نبي** فهو يرى ان الحضارة تشير الى ذلك العمل الذي يقوم به المجتمع في سبيل توفير الضمانات التي تؤهل الفرد لممارسة دوره عبر اطوار حياته المختلفة ، وتتمثل هذه الضمانات في جملة العوامل المادية و المعنوية التي تتيح لمجتمع ما ان يوفر لكل عضو فيه جميع الشروط اللازمة لتطوره.... ، او هي ذلك الكل المركب الذي يجمع بين **الانسان و التراب و الزمان** يجمع بينها **الدين** كعامل تركيبي يحدد مسار الحضارة و تطورها.

***وعموما :** يمكن القول ان الحضارة تشير الى ذلك الإنتاج البشري الناجم عن تفاعل الانسان بالبيئة المحيطة في منطقة معينة و زمن معين من اجل احراز التقدم وتطوير المجتمع ، يشمل هذا الإنتاج شقين : شق مادي يمثل كل ماهو ملموس ومرئي ، وشق معنوي يظهر في الجهد الفكري ،

انها تشير الى ذلك الكل المركب الذي يتضمن : اللغة التاريخ الدين العادات التقاليد المؤسسات الحاكمة الإنجازات العمران ، أي مزيج بين الثقافة و المدنية .

المحاضرة رقم 02 : الحضارة – دراسة في الأركان ، العناصر و المظاهر –

أولا : أركان الحضارة : للحضارة ركنين أساسيين هما : الثقافة و المدنية

01 / الثقافة : يقصد بها طريقة فهم الحياة وكيفية تنظيمها و أساليب العيش فيها و التي تميز مجتمع معين عن باقي المجتمعات ، وهي مجموع الأفكار و المفاهيم و العادات و الأنظمة و الاداب التي تختص بها أمة دون سواها .

وقد عرفتها منظمة اليونسكو على أنها جميع السمات الروحية و المادية ، الفكرية و العاطفية التي تميز مجتمعا أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون و الاداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم و المعتقدات و التقاليد.

وقد اختلفت اراء المفكرين حول طبيعة العلاقة التي تربط بين الحضارة و الثقافة وهو ما يمكن توضيحه من خلال الاتي:

*الرأي الأول : يفرق بين الثقافة و الحضارة ولا يعتبر الثقافة ركنا من اركان الحضارة ، و يعتبرهما منفصلين عن بعضهما تماما على اعتبار الثقافة تتعلق بالجوانب الفكرية بينما الحضارة تتجه الى الجوانب المادية الملموسة في الحياة ، وهذه مغالطة كبيرة لان الحضارة **اشمل من** ذلك، كما انه لايمكن الفصل بين الجانب الروحي والجانب المادي بشكل مطلق.

*الرأي الثاني : يرى انه لايوجد فرق بين الحضارة و الثقافة وينقسم بدوره الى ثلاثة اتجاهات هي:

أ/ الثقافة مرادفة تماما للحضارة (المفكرين الالمان)

ب/الثقافة هي الحضارة و لكن بدرجة اكثر تعقيدا (صمويل هنتنغتون).

ج/الثقافة جانب من جوانب الحضارة ، وفي ذلك يقول الدكتور حامد عمار :" لكل مجتمع حضارة ، و أحد جوانب الحضارة هو الجانب الثقافي ....."، وهو الراي الأرجح ذلك ان الثقافة انطلاقا من التعريفات أعلاه تشير الى المحيط الذي يشكل طباع الفرد وشخصيته بينما تضم الحضارة الى جانب ذلك الرقي المادي الذي بلغه الفرد و بلغته الامة .

02/ المدنية : هي الأشكال المادية للاشياء المحسوسة التي يصنعها الانسان كوسائل المواصلات و التكنولوجيا و العمران و الجسور.....لتحقيق الرفاهية واشباع الحاجات .

ويعرفها ديورانت على أنها الانتقال من الريف الى الحضر حيث تتميز الحياة بالتمدن والعمران و الرفاه والقانون و التطور الاقتصادي .....

وعلى هذا يمكن القول ان المدنية كما الثقافة هي جزء من الحضارة و ليس كل الحضارة كما يدعي البعض ممن يستندون الى الأصل اللاتيني لكلمة الحضارة ، وهي تعنى بالجوانب العلمية المادية و الاقتصادية و التطبيقية ، العمرانية و التنظيمية للحضارة.

ثانيا : عناصر الحضارة

يرى ابن خلدون ان عناصر الحضارة تتمثل في : البيئة الجغرافية ، الموارد الاقتصادية ، الاستقرار بالإضافة الى العصبية التي تجسد الترابط المجتمعي.

اما ديورانت فيلخصها في تعريفه للحضارة الذي تناولناه في المحاضرة الأولى في أربعة عناصر هي : الموارد الاقتصادية ، النظم السياسية ، التقاليد الخلقية بالإضافة الى متابعة العلوم و الفنون والفلسفة..

وفي تعريفه التركيبي للحضارة يقول مالك ابن نبي – كما راينا سابقا –:

الحضارة = انسان (شعب وحكومة) + زمن (تاريخ) + تراب (بيئة) مدعومة بفكر او مصدر الهام (الدين) .

من كل هذا يمكن اجمال عناصر الحضارة في :

*البيئة بمفهومها الشامل بما تحتويه من انساق فرعية (البيئة الجغرافية ، السياسية ، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية و الأخلاقية ، و العلمية).

*الانسان الذي يعتبر أساس الحضارة بامكانياته الذهنية و الفكرية و الجسمية ، فهو الذي يحرك التراب ويستغل الزمن ويؤثر في كل ذلك بفكره وعمله وماله ، ولايوجد تفاضل فطري بين الاجناس في هذا الشأن -وهو مايؤكده ارنولد توينبي في دراسته حول تاريخ الحضارات - .

*مصدر الالهام الذي يلتف حوله المجتمع لبناء الحضارة ويحرك الجهود وينظمها نحو اهداف البناء الحضاري وتحقيق النهضة .

ثالثا : مظاهر الحضارة

تتجلى مظاهر الحضارة في مختلف مجالات الحياة و يمكن ايجازها في :

***المظهر السياسي** : يبحث في كل الجوانب السياسية للحضارات كالانظمة التي طورتها المجتمعات للحكم و التشريع و اشكال الحكومات الناتجة عن ذلك ، وطبيعة المؤسسات السياسية و الإدارية المنبثقة عن شكل الحكم ومدى سيادة القانون و تمايز البنى و الوظائف...

***المظهر الاقتصادي** : يبحث هذا المظهر في الجوانب المتعلقة باقتصاد الحضارات و تفاصيل ذلك كمصادر الثروة حجمها وطريقة ادارتها ، كما يبحث في طبيعة وسائل الإنتاج و التبادل ودراسة السلوكيات الاقتصادية للافراد كالاستهلاك و الاستثمار و الادخار ...

***المظهر الاجتماعي** : يعنى بصفة أساسية بتركيبة المجتمع ، طبقاته والنظم الاجتماعية السائدة .

***المظهر الديني** : يتعلق بالمعتقدات الدينية للمجتمعات ، والعبادات واشكالها وطقوسها وعلاقة الانسان بخالق الكون و نظرته الى الكون و الحياة.

***المظهر الفكري** : يهتم بالموروث الفكري للمجتمعات وما انتجته في مختلف الحقول الفكرية من فلسفة وادب وعلوم ومنطق وغيرها.

***المظهر الفني :** يبحث المظهر الفني في الفنون المختلفة التي مارستها المجتمعات كالنحت و الموسيقى و العمارة والرسم .....وغيرها

ويستخدم عادة عبارة **GRAPES** للدلالة على هذه المظاهر مجتمعة .

ويساعد الاعتماد على هذه المظاهر في قياس درجة التحضر لاي مجتمـــــــــــــــع من المجتمعات بالاعتماد على الاثار المترتبة عن طبيعة النظم الاقتصادية و الاجتماعيـــــــــة والسياسية الفكرية، الفنية و الدينية ومعدلات الرفاه الناجم عنها وذلك وفق **مقياسين هما:**

- **المقياس الثقافي المعنوي** : ويشمل مؤشر الامن بابعادة الشاملة ، الاطمئنان ويشير الى شعور داخلي بالبعد عن الاخطار و الألم (السكينة) ، وأخيرا الكفاية.
- **المقياس المادي** : ويشمل المؤشرات المتعلقة بالتطور المادي كالتقدم العلمي والفني معدلات الاختراع والتطور التكنولوجي و الانتقال من الضروريات الى الكماليات .

المحاضرة الثالثة : نشأة الحضارات و سقوطها

لقد تعددت النظريات التي اهتمت بنشاة الحضارات وسقوطها وبينت مراحل دورتها وكذا عوامل انهيارها نذكر منها :

أولا : نظرية التعاقب الدوري للحضارات عند عبد الرحمن ابن خلدون: يرى ابن خلدون ان للدولة أعمارا طبيعية كما للأشخاص وبناءا عليه فان حضارات الأمم تمر بمراحل تبدأ بالنشاة وتنتهي بالسقوط او الاضمحلال ، وترتبط نشأة الدول بسببين رئيسيين هما:

01/ حفظ أمن المجتمع ليتمكن الناس من العيش والإنتاج وبالتالي الاستمرار في البقاء وهوما يستدعي قيام سلطة توازن بين المصالح وتسهر على فرض النظام.

02/ العصبية وهي القابلية الفطرية للسلطة السياسية، وبفضل هذه الصفة يتمكن الزعماء من فرض وجهات نظرهم .

أما عن مراحل حياتها فتبدأ بالبداوة وتنتهي بالحضارة عبر أطوار خمسة هي : طور الظفر والاستيلاء على الملك، طور الاستبداد و البطش ، طور الفراغ و الدعة ، طور القنوع و المسالمة و السكون ، طور الاسراف و التبذير ،يتعاقب على هذه الاطوار ثلاثة أجيال هي :

* **الجيل الأول** : جيل **البداوة** يتميز بالخشونة و البسالة وسيادة العصبية وهو الذي يؤسس الدولة

* **الجيل الثاني** : جيل **الحضارة** يتحول حاله بالملك و الترف من البداوة الى الحضارة ، فتنكسر العصبية وتضعف الدولة .
* **الجيل الثالث** : جيل **الترف** ينسى عهد البداوة تماما ، يفقدون العصبية و يبالغون في الانغماس في الترف حتى يصيروا عالة على الدولة ، الأمر الذي يؤدي الى انهيارها .

ويمكن القول ان الجيل الأول هو الذي يسود الطورين الأول والثاني و اللذين يرمزان الى بناء الدولة، أما الجيل الثاني فيرتبط بالطورين الثالث و الرابع اللذين يمثلان مرحلة الحضارة (الترف)، بينما يمثل الجيل الثالث الطور الخامس وبذلك يكون المسؤول عن انهيار الحضارة و بداية ظهور عصبية جديدة تؤسس لقيام حضارة جديدة.

اما عن **عوامل سقوط الحضارات** فيجملها في جملة العوامل الأتية :عوامل مادية ترتبط باتساع رقعة الملك وعدم خضوع الأطراف للسلطة المركزية ، عوامل اقتصادية تتمثل في حالة الترف و التبذير والميل الى الخمول بدل التشييد و البناء، عوامل اجتماعية ناجمة عن تطور حركة المجتمع وطبيعة العلاقات التي تجمع بين مكوناته افرادا وجماعات ، عوامل سياسية كالظلم و الاستبداد.

ثانيا نظرية النكوص الحضاري عند جيوفاني باتيستا فيكو:

اعتقد فيكو ان المجتمعات الإنسانية تمر بحلقات حضارية على شكل دورات ، تستغرق كل دورة ثلاثة مراحل هي :

01/ المرحلة الهمجية : يسودها التفكير الخرافي ، و التفسير الميتافيزيقي للظواهر و الايمان المطلق بسلطة الالهة وما يتيحه ذلك من سلطة لرجال الدين في التحكم في عقول الناس والسيطرة عليهم .

02/ المرحلة البربرية او مايعرف **بعصر البطولة** حيث تنتقل فيه السلطة من رجال الدين الى رجال الحرب و السياسة ، وينشا نظام ارستقراطي طبقي يسوده عدم العدل واللامساواة.

03/ مرحلة الحضارة او **عصر الانسان** : يتم التحول الى هذه المرحلة عندما تنجح الجماهير من الشعب في الحصول على حقوق المواطنة وما ينجم عنها من تكافؤ الفرص و المساواة في الحقوق و الواجبات، وتعرف الدولة نظاما ديمقراطيا تزداد فيه تدريجيا المطالبة بالحقوق و الاستهانة بالواجبات وهو ما ينذر بتفشي الصراعات ارتفاع معدلات الفساد و الانحلال فينجم عن ذلك انتهاء الدورة الحضارية لتفسح المجال لدورة جديدة تكون اعلى وارقى من سابقتها وتمر بدورها بنفس المراحل.

ثالثا : نظرية حتمية سقوط الحضارات عند اسوالد شبنغلر: يرى اشبنغلر ان لكل حضارة دورتها الخاصة (مغلقة ، فهو يرفض فكرة ميلاد حضارة من حضارة أخرى) و التي تختلف عن باقي الحضارات الأخرى في جوهرها (المضمون الفكري والعقائدي وطبيعة الانجاز المادي وخصوصياته) ولكنها تتماثل معها في اطوارها ومراحلها التي تشبه مراحل عمر الإنسان، فلكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها وهي شبيهة في ذلك بفصول السنة الأربعة ، ويمكن ايجاز هذه المراحل في:

01/ مرحلة ربيع الحضارة(الطفولة): إن الحضارة في مرحلتها الاولى، تبدأ في اللحظة التي تستيقظ فيها الروح بكل إمكانياتها، وتبدأ في النضج والتشكل، ويرى شبنغلر ان هذه

المرحلة تتسم بسيطرة طبقة النبلاء فيما يتعلق بالجانب المادي للحضارة لما تملكه من ثروة وطموح ورغبة قوية في السيطرة والتوسع على حساب الغير فيقول في ذلك " لقد أمسى قدر الحضارة رهين قبضة النبالة " أي طبقة النبلاء، اما على الصعيد الروحي فيعتبرها مرحلة للبطولة تسودها الأساطير و شعر الملاحم، واتساع الخيال كفترة "هوميروس" في الحضارة اليونانية وأساطير الأبطال الأريين في الحضارة الهندية والدين الهيليني بالنسبة للحضارة الكلاسيكية.

02/ مرحلة صيف الحضارة (الشباب): وتعد المنعطف الذي تشهده كل حضارة، إذ ينتشر الوعي الثقافي من النخبة الثقافية أو السياسية أو الحربية إلى جموع الشعب وتجتاز الثقافة عدة مراحل تبدأ بالتنظيم السياسي ثم العلوم والفنون المختلفة فتنتج أعمال عظيمة وتتحرر العقول من سيطرة التفكير الديني والغيبي، وعندما تبلغ هذه المرحلة ذروتها وأوجها تتجه نحو المرحلة الموالية (خريف الحضارة) .

03/ مرحلة خريف الحضارة (الكهولة) :

هي مرحلة سيادة العقل، وذكاء المدينة وذروة **استنفاذ الطاقات** الابداعية ، مما يؤدي إلى ضعف هذه الطاقات ويؤذن ببداية الدخول في مرحلة الضعف ، حيث يقول اشبنغلر":" ثم وعقب هذه الحقبة ببعض زمن نرى الحضارة تصل الى الهشاشة وتشم عطر أواخر تشرينها" وهكذا تدخل الحضارة في طورها الأخير.

04/ مرحلة شتاء الحضارة (الشيخوخة): وتمثل آخر مرحلة من مراحل الحضارة، ففي الشتاء تفقد الحضارة روحها المبدعة وتصبح مجرد مدنية، ويتوقع "اشبنغلر" في **ظلها زوال الحضارة،** لانها قد لفظت آخر أنفاسها، وقدمت كل ما لديها من إمكانات.

ثالثا : نظرية التحدي والاستجابة عند ارنولد توينبي

على عكس اشبنغلر فان توينبي يرى ان الحضارات قد تكون وليدة حضارات أخرى سابقة عليها ، فالحضارة الغربية الحديثة هي وليدة الحضارة الهيلينية ، والحضارة الإسلامية هي نتاج اندماج المجتمعين العربي والإيراني وهما بدورهما وليدا المجتمع السوريانى .

ويقسم توينبي الدورة الحضارية الى ثلاثة مراحل هي :

01/ مرحلة الميلاد : تنشا الحضارات نتيجة التحدي الذي تفرضه الطبيعة التي تضع الانسان دائما امام تحديات جديدة غير متوقعة مثل الظروف المناخية الصعبة كالجفاف و التصحر او التعرض لضغوط بسبب الغزو الخارجي او صعوبة تضاريس الحيز الجغرافي ....، وكلها تحديات تتطلب استجابة إيجابية من خلال المواجهة و التغيير وعدم الرضوخ للامر الواقع .

ان التغلب على هذه التحديات و المصاعب هو الذي يمثل بداية النمو الحضاري.

02/ مرحلة النمو و النضج : وهي المرحلة التي يتعزز فيها النمو الحضاري ويمضي قدما ، ويؤكد توينبي ان **النجاح المتولد بين كل تحد واستجابة هوالذي يرسم في تراكماته مسار التطور الحضاري الذي تقوده فئة من المبدعين او القادة الملهمين** الذين تستجيب لهم الأكثرية عن طريق المحاكاة الاجتماعية فتتمكن من السيطرة على أسلوب الحياة الخاص بمجتمعها ومجابهة ظروف البيئة التي تحيطها.

03/ مرحلة التدهور والانهيار : تتولد عن ضعف الفئة المبدعة صانعة الحضارة و التي تتجلى في عدم قدرة هذه الأخيرة على ايجادالمزيد من الحلول للمشاكل و التحديات التي تواجهها فتضعف استجابتها ، و تفقد ولاء العامة لها ، مما يؤدي الى ضعف الولاء والانصياع و ظهور الصراع والانشقاق الداخلي والنزوع الى التسلط و الاستبداد وهو ما يؤذن بزوال الحضارة و انهيارها.